

فإذا كنا قد شكوكنا قديماً من أن روح المدرسة كانت محصورة منذ زمن بعيد في تلقين التلميذ كثيراً من المعلومات ليصبها صباً في ورقة الامتحان ثم ينساها بمجرد الانتهاء منه ، فإن هذه الروح لا زالت قائمة إلى اليوم وهي التي تملئ على المدرسة ومدرسيها أعمالهم ، وتعلم على الطلبة طرق السير في حياتهم وفي تفكيرهم ، وفي غدواتهم وروحاتهم .

فإذا كنا نادينا في سبيل وحدة الأمة وتكاتف عناصرها بضرورة توحيد الثقافة في المرحلة الأولى من مراحل التعليم بإحلال المدرسة الموحدة محل المدرسة المشتقة من التعليم الإلزامي والأولى والريفي والابتدائي ؛ وإذا كنا نادينا في سبيل وحدة الأمة بضرورة توحيد معاهد المهنة الواحدة ، وعلى الخصوص معاهد المعلمين كدار العلوم ومعهد التربية وكلية اللغة العربية وإدماجها في معهد واحد لتخريج مدرسين متعاونين متضامنين عارفين بواجباتهم مقدرين لمسئولياتهم ، فإننا ننادي كذلك بضرورة إصلاح المدرسة القائمة بصفة عامة إصلاحاً يتناول روحها ونظمها ويحدد أهدافها ، ولن يتم لنا كل ذلك إلا بالتعاون الفنى والتعاون القوى . لا يتم لنا كل ذلك إلا إذا تعاون رجال التعليم عامة في لجان دارسة فاحصة تبحث عيوب النظام الحالي كلها وتناقشها في محاضرات ومؤتمرات عامة ، وتضع الحلول المختلفة للخلاص منها . ثم تدرسها بعد ذلك لجنة فنية عليا ليربئها وتصفيها . ومما يساعد على ذلك الآن وجود عدد كبير من المفتشين العاملين في مختلف إدارات التعليم بالوزارة . ثم يمرض الأمر أخيراً على مجلس المعارف الأعلى الذى سمعنا بقرب تشكيله . وإنه ليفرج الأمة أن يتكون هذا المجلس تكويناً قومياً بحيث يكون جامعاً لخلاصة المفكرين ورجال الأعمال من كافة الأحزاب ، وبإلتيه يضم عدداً من رجالات البلاد العربية الشقيقة حتى يكون عمله قومياً بحقاً معترفاً به من جميع الحكومات على اختلاف مذاهبها . وبذلك تسير مصر كلها ومعها بلاد الجامعة العربية في طريق واحد نحو هدف ثقافى واحد .

هذه هي الطريقة المثلى في حل مشاكلنا التعليمية ، وهي طريقة وإن كانت بطيئة إلا أنها مضمونة الفائدة محققة النفع ذات هدف سام يرحب به الجميع ، وأقل ما توصف به من خير أن الحلول التي تضعها لمشاكل التعليم لا تكون بنت يومها أو بنت الطفرة ، ولا تكون حلولاً مرتجلة نتيجة تفكير فرد أو أفراد محددين ، بل هي نتيجة بحث وفحص وتمحيص يشترك فيها الجميع وتعملها المصلحة القومية العامة ، مصلحة الأمة التي تطلب الوحدة وتنادى بها وتعمل لها .

عبد المجيد قمرى مصر

على ترفيتهم وسبق زملائهم . لذلك نجد أن الروح الجديدة أخذت مع الأسف تتلاشى تدريجياً بين مدرسى مدارسنا كما تلاشت بين تلاميذنا . فما بالك إذن بروح التعاون التي تتطلبها المدرسة والجامعة والأمة في سبيل نهضتها ووحدةها ! ؟

ولقد زاد الطين بلة ما كان من ثورة على مناهج التعليم كأن المناهج لا المعلمين وكأن الخطط لا النظم هي التي تكون الناشئين ! فلطالما اهتزت أركان الوزارة في ربع القرن الماضى بتغيير الخطط وتغيير المناهج وإطالة مدة مرحلة من مراحل التعليم وإنقاص أخرى من تلك التغييرات الظاهرية ، والتبديلات الجوفاء التي أضافت إلى جود الروح المدرسى عبئاً آخر من فوضى التغيير الظاهرى والعبث بالاستقرار الحقيقى حتى ضج من ذلك المعلم والمتعلم . وكما نادينا على غير جدوى بأن المشكلة الحقيقية ليست في المناهج والخطط ولكنها في نظم الدراسة وروحها ومعلميها . ثم زاد الحالة سوءاً بعد ذلك ما كان من تشجيع الطلاب على الاندماج في الحزبية الجامعة التي دفت بالكثيرين منهم إلى الخروج على أبسط قواعد الأدب وتقاليد المجتمع !

كل ذلك يلهمه ويحمسه القاعمون على أمور المدارس والمتصلون بها من رجال التعليم والشرفون عليها . وكل ذلك نادينا بضرورة إصلاحه من زمن بعيد فلم نجد مع الأسف من القاعمين بالأمر إلا ارتجال مشروعات لا تمت بصلة صحيحة إلى إصلاح روح المدرسة ونظمها . وأعتقد أن رجال التعليم جميعاً يتحدثون بذلك ويدركونه ويتلمسون له الحلول فلا يجدونها !

وها هي ذى الأمة تقامى اليوم من جراء ذلك ما تقامى من فوضى الأخلاق ، وسوء معاملة الناس متعلمين وجاهلين بعضهم لبعض وعدم تقهيم بعضهم ببعض ، وأنانيتهم وجشعهم وقلة اكتراثهم بعمل الخير ، وقلة إقدام متعلمينا وشبابنا على المشروعات العامة بسبب فقدان التناصر والتعاون حتى بين أفراد الأسرة الواحدة وخروج الإبن على أبيه ، وعدم رعاية حقوق الأخوة والجوار ، وانتزاع الرحمة ممن يجب عليهم الرحمة للضعفاء والمعوذين ، إلى غير ذلك مما يفت في عهد الأمة ويضعف من قوتها ، ويوهن روح نهضتها ويضعف وحدتها . ولقد أحس بذلك الصغير والكبير ورجل الشارع ورجل التعليم . فما السبيل يا ترى لإصلاح هذه الحال ؟